وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة المستقبل/ كلية العلوم الإدارية
قسم إدارة الأعمال/ المرحلة الثانية
اللغة العربية/ المحاضرة الأولى
م.م أحمد محمد الدليميّ

العصور الأدبية وفنونها

* كلمة (أدب) وتطور دلالتها عبر العصور:

تطوّر مفهوم كلمة (الأدب) بتطوّر الحياة العربية عبر العصور الأدبية المتعاقبة منذ الجاهلية حتى عصرنا الحاضر، فقد كانت في الجاهلية تعني الدعوة إلى الطعام، ومن ذلك قول طرفة بن العبد:

نحن في المشتاة ندعو الجَفْلَى لا ترى الآدب فينا ينتقر

وفي العصر الإسلامي أصبح معناها الخُلُق القويم، حيث قال النبي ﷺ: «أدّبني ربي فأحسن تأديبي»، واتسعت دائرة دلالتها في صدر الإسلام لتشير إلى التهذيب والتربية.

وفي العصر الأموي اكتسبت كلمة (أدب) معنىً تعليميًا يتصل بدراسة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتاريخ والفقه، وتعلّم المأثور من الشعر والنثر.

وفي العصر العباسي الأول اشتمل مفهوم كلمة (أدب) على علوم البلاغة واللغة وسائر المعارف، ثم استقلت علوم اللغة والنحو، وازداد الاهتمام بشرح صنوف المعرفة، وفي العصر العباسي الثاني اتجه المفهوم إلى دراسة الشعر والنثر والتعليق عليهما، ودراسة تراجم الأدباء.

أما في العصر الحديث فتُطلق كلمة (أدب) على الكلام الفني البليغ الجميل، الذي يعبّر به الإنسان الموهوب عن أحاسيسه وتجاربه بلغة يمتزج فيها الخيال بالحقيقة، فيؤثر في عواطف القارئ والسامع.

* تعريف الأدب:

الأدب تعبير فني مؤثر، نابع من ذات مؤمنة، مترجم عن الحياة والإنسان والكون، وفق الأسس العقائدية، وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر، ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما.

ويُعدّ الأدب صياغة لغوية جمالية مؤثرة تعبّر عن التجربة الإنسانية، وتتأثر بالواقع المعاش، وترصد ما يخلّفه من أثر في نفس الأديب، بحيث يكون قادرًا على إمتاع المتلقي وإدهاشه، مع التأكيد على الطبيعة اللغوية والجمالية للأدب.

ويُوسّع هذا المفهوم التجربة لتشمل ما هو ذاتي شخصي وما هو موضوعي عام، ويقرّ بعلاقة الأدب بظروف الزمان والمكان، فضلًا عن اهتمامه بجانب المتعة والأثر، لا الاقتصار على نقل الخبرة الإنسانية فقط.

* العصور الأدبية وفنونها:

إنَّ الحديث عن عصور الأدب العربي هو حديث عن الفترات الزمنية التي مرَّ بها الأدب العربي في تاريخه، وقد سُمِّي الأدب في كل عصر وفقًا لعوامل كثيرة، منها العوامل السياسية والاجتماعية والفكرية، وقد قام كثير من الباحثين في تاريخ الأدب والنقد الأدبي بتقسيم الأدب العربي على أساس عصور مختلفة لغرض الدراسة، فلكل عصر من العصور الأدبية خصائص فنية وموضوعية تقوم بذاتها، وتسهم في الكشف عن الجوانب التاريخية والسياسية والاجتماعية والأدبية لذلك العصر.

أولًا: العصر الجاهلي (ما قبل الإسلام):

يُعرَّف الأدب الجاهلي على أنَّه ما كُتب من نثر وشعر في العصر الجاهلي تحديدًا، والعصر الجاهلي هو الفترة الزمنية التي تمتد منذ نحو قرنين قبل الإسلام.

وقد انقسم الأدب في العصر الجاهلي إلى قسمين رئيسين: الشعر والنثر، وكانت الغلبة للشعر، إذ اشتهر الشعراء وعَظُم صيتهم، وكانت القبيلة تفتخر بشعرائها، ويُعدّ هذا العصر عصر المعلّقات، وهي القصائد العشر التي عُدّت من أعلى مراتب الشعر العربي.

ومن شعراء المعلقات: امرؤ القيس، وطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سُلمى، ولبيد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم، وعنترة بن شداد، والحارث بن حلزة اليشكري.

ومن أهم مصادر الشعر الجاهلي: (المعلقات، والمفضليات، وكتب الحماسة، والأصمعيات، وكتاب الاختيارين، وجمهرة أشعار العرب، ودواوين الشعراء الجاهليين).

أبرز خصائص شعر هذا العصر:

- الفخر والحماسة.
- وصف الصحراء والرحلة.
- الغزل والوقوف على الأطلال.
- قوة اللغة وجزالة الألفاظ.

ومن أمثلة شعر هذا العصر، قول امرؤ القيس:

قِفا نَبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ بسِقطِ اللوى بينَ الدَخولِ فحَومَلِ

ثانيًا: العصر الإسلامي:

يُعدّ العصر الإسلامي من العصور المزدهرة في الأدب العربي، ويمتد من بعثة الرسول محمد ﷺ وظهور الدين الإسلامي حتى بداية الخلافة الأموية.

وقد اشتهر الأدب الإسلامي بما غلب على موضوعاته من قيم وتعاليم إسلامية، شعرًا ونثرًا، وظهرت المدائح النبوية، فضلًا عن التأثير الكبير للقرآن الكريم في اللغة العربية.

من أمثلة شعر هذا العصر: قول حسان بن ثابت:

وأحسنُ منك لم ترَ قطُّ عيني وأجملُ منك لم تلدِ النساءُ

ثالثًا: العصر الأموي:

يأتي العصر الأموي بعد العصر الإسلامي في ترتيب عصور الأدب العربي، ويُعدّ من عصور ازدهار الأدب العربي، إذ بلغت الفنون الأدبية في هذا العصر منزلة عالية من النضج الفني.

وشهد الأدب الأموي ازدهار الغزل، ولا سيما الغزل العذري، وظهرت النقائض الشعرية التي كانت بين جرير والفرزدق والأخطل وغيرهم، وهي قصائد يتبادل فيها الشعراء الهجاء في صورة ملحمية، كما ازدهرت الفنون النثرية، ولا سيما الخطابة السياسية والدينية.

من أمثلة شعر هذا العصر، قول جرير:

ألستم خيرَ من ركبَ المطايا وأندى العالمين بطونَ راحِ

رابعًا: العصر العباسي:

يُعدّ العصر العباسي من أكثر عصور الأدب العربي ازدهارًا وعلوًّا على الصعيد الأدبي شعرًا ونثرًا، فقد أبدى الخلفاء العباسيون اهتمامًا كبيرًا بالشعراء والأدباء، وكانوا داعمين للحركة الأدبية بشكل عام.

وقد ضم الأدب العباسي نخبة من كبار شعراء العرب، ومنهم: المتنبي، وأبو نواس، وأبو تمام، والبحتري، وبشار بن برد، وأبو العلاء المعري، والشريف الرضي، وغيرهم.

أبرز خصائص شعر هذا العصر:

- ازدهار العلوم والفنون.
- التجديد في المعاني والأساليب.
- التأثر بالحضارات الأخرى.

من أمثلة شعر هذا العصر، قول المتنبي:

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ

خامسًا: العصر الأندلسي:

يبدأ العصر الأندلسي من دخول العرب إلى الأندلس سنة 91هـ، وكان الفتح الإسلامي امتدادًا لحركة نشر الدعوة الإسلامية هناك، بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير.

وقد تأثر الأدب الأندلسي بالأحوال السياسية، ولا سيما في عصر ملوك الطوائف، وازدهر الشعر الأندلسي، وتأثر بالطبيعة الأندلسية، وتنوّعت موضوعاته بين المدح والغزل والرثاء، إلى جانب الموضوعات التعليمية.

كما أدى الاهتمام بالغناء إلى ظهور فنون شعرية مستحدثة، من أهمها: الموشحات والزجل.

من أمثلة شعر هذا العصر، قول ابن زيدون:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ونابَ عن طيبِ لقيانا تجافينا

سادسًا: العصور المتأخرة:

يطلق كثير من الباحثين على الحقبة التي تلت انهيار الدولة العباسية وسقوط بغداد سنة 656هـ تسميات مثل: (عصر الانحطاط) أو (العصر المظلم)، غير أن هذه التسمية ليست منصفة تمامًا، إذ لم يهبط الأدب إلى الحضيض، بل احتفظ ببعض مقوماته.

وقد تميز أدب هذه العصور بالمحافظة على الصناعة الشعرية القديمة، إلا أن الضعف ظهر في الألفاظ والأساليب والتراكيب، وكثر استعمال المحسنات البديعية والتورية، ولجأ بعض الشعراء إلى الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف.

من أبرز شعر هذا العصر قول صفي الدين الحلي:

بيضُ الصفائحِ لا سودُ الصحائفِ في متونِهِنَّ جلاءُ الشكِّ والرِّيبِ

سابعًا: العصر الحديث:

جاء الأدب الحديث نتيجة اختلاط العرب بالحضارات المجاورة واطلاعهم على الآداب الأخرى، وبدأ الأدب العربي يعود تدريجيًا إلى عصور الازدهار.

وقد دخلت فنون أدبية جديدة إلى الأدب العربي، مثل: المسرح، والرواية، وتطورت أشكال الشعر، وظهر الشعر الحر وقصيدة النثر، مما أضفى طابع الحداثة والتجديد.

كما شكّل دخول النقد الأدبي الحديث نقطة إيجابية مهمة، إذ تطورت الدراسات النقدية، واكتشف النقاد عوالم جديدة في النص الأدبي، ووسّعوا من آفاق التحليل اللغوي والدلالي والنقدي.

من أبرز شعر هذا العصر، قول بدر شاكر السياب:

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السَّحرِ أو شُرفتانِ راحَ ينأى عنهما القمرُ

****